الوحدة عوض ان تمزق صفوفنا الطائفية والمنازعات ،... حيث كل قطر يعتدي على حرمة القطر الآخر ، بينما نحن في الأصل ابناء اسرة عربية واحدة ... ويحضرني في هذه المناسبة قول الزعيم سعد زغلول : « كل الأصفار عندما تجمع لا يمكن أن يكون ناتجها إلا صفراً . لذلك علينا أن ندرك الحقائق بعقلية عصر الذرة والالكترون ، لا بعقلية إيام القوافل والجمال ... كنا نعد السفر من فاس الى مكناس بمثابة رحلة ، بينما أصبح السفر الى القمر اليوم عادياً ، لذلك على المسؤولين العرب أن يعيشوا عصرهم .

حققنا معجزة

— حديثك عن الشباب ، يذكرني باضطلاعك في الماضي ، بمنصب وزير الشبيبة والرياضة ، فهل ثمة توجهات للشباب في الأمس تختلف عنها اليوم ؟

• في الماضي كنّا نردد أن لا سبيل إلى الحرية والاستقلال الا بالتوعية الشاملة ، وذلك بأن يقرأ المرء ، ويتمعن في قراءته ، لكي تتجلى الحقائق أمام عينيه ، فقد كان اهتمام اساتذتنا ينصب في الماضي على العناية بتربية الروح ، وتذكيرنا بتراثنا وأمجادنا ، حوافز للانطلاق الى المستقبل ، أما مدارس اليوم فهي تنظر الى الطلبة وتتعامل معهم ، كما تتعامل مع الانسان الآلي الذي يحشى بالمعلومات ... هذا بالاضافة الى انتشار الصحف والمجلات الأجنبية المسيئة للأخلاق ، ككتب الجنس ، والفيديو ، وتحليل المحرمات ... ان كل هذه العوامل متضافرة ، تساهم في ابعاد هذا الجيل عن الاضطلاع بدوره الحقيقي والفعال . نحن في المغرب حققنا معجزة اذ لم يكن لدينا عشية الاستقلال الا عدة صيدليات وعشرين طبيباً ، ومثل هذا العدد من المحامين ، ومع ذلك فقد كان التفاؤل لا يغيب عنا ، نردد مع سيدنا علي رضي الله عنه : « لا أعجب ممن عطب كيف عطب ، ولكن أعجب ممن نجا كيف نجا » .

— عملت في الصحافة ، وسجنت عدة مرات من جراء تحريرك للكلمة الحرّة ، كيف تنظر الى الصحافة العربية اليوم ؟

• اعذريني إن كنت قاسياً في رأيي ، أنا اعتقد أن الصحافة العربية حادت اليوم عن منهجها السليم ، ولم تعد تضطلع برسالتها ... كانت الكلمة في الماضي نضالاً ورسالة ، ورأياً حراً ، أما اليوم ، فقد اغتصبتها المنازعات وبعض الأنظمة ، وهي أشدّ حاجة اليوم الى الانعتاق والنور .

ذكريات عامل الصحراء

— المعروفل أنك انتدبت في فترة من حياة المغرب ، ومن قبل الملك ، كعامل على اقليم الصحراء ، فما هي ذكرياتك عن الصحراء من إنجازات وشاعرية ؟

• عندما وصلت الصحراء ، وجدت فيها شعباً كريماً ، على الرغم من الحواجز التي صنعها الاستعمار . واذكر أنني خطبت في جماعة من قبيلة « الرقيبات » وهي أكبر قبيلة في الصحراء ، وعندما أنهيت خطبتي ، تقدم مني جماعة منهم وقالوا : « أنت تجهد نفسك لكي تقنعنا بمغربيتنا ، نحن مغاربة ، ومتشبثون بمغربيتنا » ... ثم قال أحدهم مازحاً : « لكننا سمعنا أنكم تقننون في تعدّد الزوجات ؟ » قلت : « لا ، نحن مسلمون ، ونتبع قوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ، مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألّا تعدلوا ، فواحدة... » ، ثم أردفت « وأنا والله خائف من كلام الله ، بألا أحقق العدل ، فلا أتزوج إلا واحدة . تزوجوا شرط أن تعدلوا ... » فضحكوا ، وضحكت معهم ...

أمي ماتت حزنا... وفي زنزانتي كان والـدي يتوجّع!

ويتابع ابن سوده : لقد وجدت الصحراء صافية كسمائها ، متحركة كرمالها ، لقد استطاع العرب أن يغرسوا فيها وردة ، وتحويلها إلى واحة ، بتشييدهم حضارة على أرضها ، لكني لا أكتمك ، أن صحرائي لم تكن كصحراء الآخرين ، صحراء تقفز منها الغزلان ، وتحوم فيها الطيور ، وتزحف فيها الزواحف ، كانت صحرائي محاطة بالمدافع والألغام ، والواقع أن الاعتداء على الصحراء ، هو بمثابة اعتداء على أجمل ما في الانسان من شاعرية وصفاء ومحبة .

— في شعرك ، تميل الى الفلسفة والحكمة والمناجاة ، وثمة من يقول : « إن في شعرك نفحة من نفحات شاعرية أبي العلاء ، فكيف تنظر الى شعرك بمنظار الناقد والشاعر معاً ؟

• أنا والله لست إلّا شاعراً عابراً ، توقف في محطات مشحونة بالألم فجرت لديه قول لشعر ...

لقد رأيت أصدقائي يسجنون ويقتلون ، وأنا لم أتجاوز بعد الثالثة عشرة من العمر ، ودخلت السجن وأنا ابن سبعة عشرة ، واجبرت على السير على قدمي مع ثلاثة من اصدقائي : عبد الله الجابي ، ومحمد العراقي ، والمهدي الودغري مسافة سبعين كيلومتراً ، ولا معين لي إلا الله ، فكيف لا تستيقظ الموهبة في نفسي وتتفجر ... وأذكر أنه في إحدى المرات فاجأني السجان وفتح باب زنزانتي ، لأرى والدي على بعد عشرين متراً يتوجّع ، فقلت له : ما بك يا والدي ؟ فصمت قليلاً ، ثم أخبرني أن والدتي ماتت حزناً وغماً لاعتقالي وابتعادي عنها . ماتت ولم يتجاوز عمرها التاسعة والثلاثين عاماً . لم تترك لي أي صورة أنظر إليها لتعينني في أيام الشدائد ، إلا صورتها المنطبعة في النفس ، تملأ القلب والروح معاً ... في هذا الجو المثقل بالهموم ، لم يكن ثمة رفيق لي في سجني إلا شعر أبي العلاء المعري ، بعد كتاب الله تعالى ، عزاء وسلوى ، وأنا القائل :

أرى الخلق قد ضلوا طريق رشادهم
فما عرفوا الدنيا ولا وصلوا الأخرى
فهذا حكيم يطلب الحقّ تائهاً
وهذا بليد يعبد النجم والصخرا...

« كويس »

— حياتك ، غنية مليئة بالمفاجآت و المفارقات ، هل ثمة ذكرى تدمع لها العين حزناً أو فرحاً ؟

يصمت ابن سودة ، يتذكر ، ثسم تلمع عيناه فجأة ، ليبدأ في سرد المفارقة التالية :

• أذكر أن ضابطاً استقال من الجيش الاسباني وكان يدعى ادريس كويّس وفي رحلة لي إلى إحدى زنزانات السجون ، تكلم صديقي في الرحلة ابراهيم الوزّاني بالهاتف الى زوجته يسألها عن نتائج امتحان أولاده ، وكان يردد عقب كلامها كلمة « كويس » أي « عظيم ، منيح ، جيد » ففهم السجان الاسباني أن الوزاني يوصي على المحروس « كويس » ، أو أن لديه أخباراً منه ، فأرسل حاكم السجن في طلبي ، فقت له إنها كلمة مصرية ، تعني « جيد أو الحمد لله » فقال : « هات البرهان » فما كان منه إلا أن استدعى الوزاني ووضعه في غرفة منفردة قريبة مني ، ورحت أقص على الوزاني بعض الحوادث المفرحة ، بحيث كان لا يملك إلا أن يجيبني بكلمة « كويس » ، وعندما تأكد الحاكم من صحة أقوالي ضحك من أعماقه بعدما تأكد أن لا علاقة لنا بـ « كويس » الاسباني ، وهكذا كفانا الله شرّ الظالمين .

ويضحك ابن سوده هو الآخر ، ويتذكر ثانية : المعروف بين اصدقائي أنني أمتلك حبالاً صوتية اتقن معها الترتيل والغناء ، وفي احدى المرات وضعني السجانون في زنزانة بمفردي ، بحيث كنت لا أرى اصدقائي ، ولا أسمع إفاداتهم التي يدلون بها للمحكمة ، فكنت كلما أردت أن أتحدث اليهم ، أدعي الصلاة ، ثم أرفع صوتي استغفر الله بصوت شجي ، ثم أنشد لهم بترتيل عذب ما أوّد توصيله إليهم ، كأن أقول : « وإن سألوك يا فلان عن الحادثة الفلانية فقل لهم كذا وكذا ... » وهكذا سخرت صوتي لكي أجنب نفسي والآخرين عقوبة الظالمين .

ولقد تعرف ابن سوده في خلال مسيرة حياته الطويلة الى شخصيات مختلفة ، أدبية وسياسية وفنية ، بقيت ملامح بعضهم عالقة في ذهنه ، فقد عرف من الأدباء مثلا : الجواهري ، وعمر أبو ريشة ، والأخطل الصغير الذي يصفه بأنه « فلتة من فلتات الأدب العربي » وعرف من شعراء مصر محمود أبو الوفا ، الذي كان يحفظ كل أشعار ديوانه « أنفاس محترقة » ، ويصف أحمد محجوب من السودان ، على أنه شاعر فحل ... ومن الشخصيات السياسية يذكر : جمال عبد الناصر ، شكري القوتلي ، مصطفى النحاس ، الملك الراحل فيصل ، ويصف الملك فيصل بقوله : « إنه رجل يمتلك عقلاً يدرك بسرعة ، ويقرر بحكمة ، أما القوتلي « فقلبه كان أكبر من عقله ، كان رجلاً فاضلاً وطيباً ، إلا أن روحه العربية غلبت تفكيره السياسي ...

— وعبد الناصر

• لقد تجاوز بطموحاته حدّ المعقول .

— سعد زغلول ؟

ويرتفع إصبعه معترضاً :

• كنت لسّه صغير ، إلا إذا كنت تنظرين إلي على أني شيخ مسنّ !!

— وذكرياتك عن المغفور له الملك محمد الخامس ؟

• كان مثال القائد والأب ، المناضل والمؤمن ، كان مثالاً في الثبات على المبادىء والقيم ، ولعل أهم أنجازاته تكوينه للحسن الثاني ، حيث اجتمع فيه ما تفّرق في غيره من ثقافة ، وعلم ، وحكمة ، وفكر ثاقب .

وداع بيروت

أين يجد أحمد بن سوده نفسه : في السياسة والتمثيل الديبلوماسي ، أم في خواطر الفن والأدب ؟

• أجد نفسي فيها كلهّا متناسقة مجتمعة ، بحيث لا تتعارض الواحدة منها مع الأخرى ، فالسياسي أو الديبلوماسي لا يمكن أن يكون ناجحاً إلا إذا كان أديباً وشاعراً ، ولعل الصحافة تلتقي معهم أيضاً ، وأعتقد أن من أسباب نجاحي – الذي يتحدثون عنه عندما كنت سفيراً لبلدي في لبنان – أنني كنت صحافياً وديبلوماسياً في آن واحد ، وصاحبة الجلالة في لبنان لها سلطان كبير ، وأذكر أنني ألقيت قصيدة في حفل وداعي في لبنان بمناسبة انتهاء فترتي الديبلوماسية قلت في مطلعها :

أودعها ، كلا فإني أحبّها
أأتركها والقلب يعشق أرزها...

— هل كانت قصيدة وداع لمدينة أم قصيدة حب ؟

• الجواب في هذا البيت من الشعر :

ودّعت قلبي وما ودّعت لبنانا
أتيته خالياً وعدت ولهانا...

— هذه الشفافية تدفعني الى السؤال عن المرأة ... فماذا تقول فيها ؟

• إنها أولاً وعاشراً وأخيراً ، المحرك والحافز . هي أمي التي علمتني الوطنية ، وزوجتي التي شاركتني الحياة ، هي والله ، النخلة ، والزهرة ، والأريج ... ولعلّ من أجمل أحاديث رسول الله (ﷺ) قوله : « حبّب إليّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيب ، وجعلت قرّة عيني في الصلاة » ، الانسان يسعى لارضاء المرأة ، أمّا كانت أم زوجة .

ثم أنشد يقول :

لا تلمني إذا الجمال تبدّى
فأنا العاشق الذي ليس يهدا

الوطن العربي
٢٧٨ - ١١ - ١٧ ص ٢٦ ن ٢

أدب

الكلام على الحب شجون وفنون ... خصوصا حين ينبري الشعراء والكتاب الى تعداد فضائله ومزاياه ، وتأثيرها المباشر على الخلق الادبي في نتاجهم .
شاعران وروائيان وفنانان تشكيليان يكشفون صفحات قلوبهم على صفحات «الوطن العربي» .

ماذا تقولون في الحب؟

غالب هلسا: نقطة ارتكازي في فراغ العالم

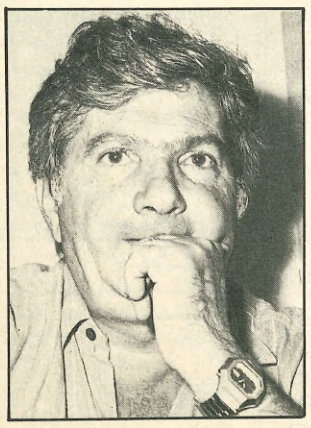

ليلى نصير: اللهمّ هبنا حبًا لتسع حريتنا

الياس الديري: عاشقًا ولدتُ وعاشقًا أموت

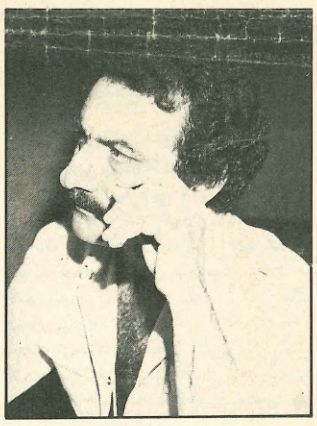

طلال حيدر: يحمي المبدع من الانطفاء...

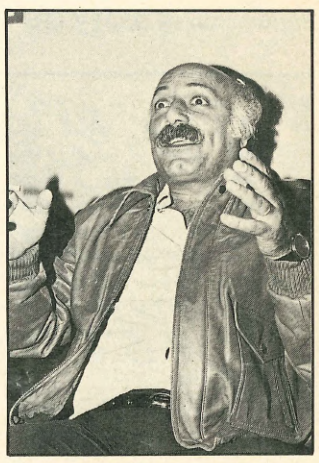

هدى نعماني: عندما ينتهي يسقط غروب على السماء

بيروت - «الوطن العربي»

هل صحيح ان الكتاب والشعراء ما زالوا يعشقون ؟ طبعا ، حبر اقلامهم العاشق يكتب الروائي روايته ، والشاعر قصيدته . لكن من اين يأتي هذا الينبوع الذي تستشعره في عشرات الكتب التي تلفظها المطابع العربية يوميا ؟ الصحراء تمتد والجفاف ينتشر في الجهات الاربع يقول البعض ...

لم نصدق . ما يزال للحب مكان ، في الاقل ، لدى الكتاب والشعراء ، اي حب ؟ للجنس الاخر ، ام للذات ؟ لا فرق . نرجسية او طوباوية ؟ ما هم . هذه الاسئلة ، مضافا اليها جدلية الحب والابداع الادبي حملناها الى بضعة اسماء لبنانية لمعت في بالنا فكانت الاجوبة الاتية :

● الروائي الياس الديري ، الذي طالما نثر عشقه المجنون بسخاء على الورق بصوت «عواد» او سواه من ابطال رواياته ، اجاب قائلا : «زمننا لا يصلح للكلام على الحب ، زمننا زمن الغربة والدم . اننا نكذب عندما نثير موضوع الحب . لا اريد ان اسهم في الكذب المؤذي الذي يدعي ما ليس موجودا في حياتنا الراهنة . اني استغرب ان تطرحوا علي مثل هذه الاسئلة . اسمعوا : الحب ايمان ، والعاشق مؤمن حقيقي ، ومن الكفر ان يسأل العاشق عن احاسيسه الحميمة . وهل يسأل الراهب لماذا تعبد الله ؟ الحب هو الحياة في الذروة . ونقيض الحب هو العدم . هذا هو ابني الذي به سررت . عاشقا ولد وعاشقا يموت» !

لا أحب

● الرسام حسين ماضي ، قبل في البداية ان يجيب على الاسئلة لكنه اعتذر في النهاية .

- لماذا ترفض الاجابة ؟

● لأن الكلام في الحب يسيء الى حياتي الشخصية ...

- ماذا تريد ان تقول ؟

● لا اريد ان اقول شيئا . انا لا احب احدا ...

- كيف تستطيع ان ترسم لوحة من دون حب ؟ الرسم حب في ذاته ؟

● حبي لفني مجرد خالص . دعوني لا اريد ان اقول شيئا في هذا الموضوع انا خارج الاسئلة . خارج الاجوبة . خارج اللعبة !

● الشاعرة هدى نعماني ، المعروفة بقصائدها الصوفية العميقة خير من يتحدث في الحب . انه موضوعها المفضل شعرا وحياة : «الحب - تقول - هو الفلك الذي ندور فيه جميعا . انه الزمن الحي الذي يسكب في نفس الانسان عطر الغابات وبراءة الطبيعة . نحس ، في احيان ، دبيبه في مسامنا ، ونسمع في اخرى وقع خطاه في شراييننا . ما من عمل يكتمل في الارض والسماء من دون حب .

● لو لم يحب الله الكون حبا لا يوصف لما كان خلقه . لو لم يحب الله الانسان فوق ما يستطيع التصور لما كنا اليوم بشرا اسوياء . اي الكلمات تقدر على أسر الحب والقبض عليه . الحب فوق الكلمات ابعد منها خالقها . لكن الحب في النهاية هو الكلمة .

انه التوق الذي يدفع كل خلية الى الحياة والنماء . فما بالك اذن لدى الفنان، الساكن تحت فضاء شفاف يقطر لوعة في النفس تفجر الدموع ، ويضفي لذاذات شعور على الروح حتى لتكاد تثب من الفرح . بين الحزن والفرح يتكوكب الفنان ويهمي رحمة وانسا على النفوس التعبة . خفية يتحرك تجرفه رغبات وتخنقه رغبات مثل نهر ولد ليغير مجراه . يظل ينحت الهواء حتى يصير الحلم حقيقة والوهم جسدا . وفي نهاية الدورة يلتف بانتصاره وينام وحيدا ...

من غير حب الحياة حجر . من غير حب تصمت دماءنا . من غير حب يسقط الغروب على السماء . ولكن ما هو الحب ؟! نبض يختلف في الجوهر بين انسان واخر . ينساب منعكسا او متلألئا في خواطر متعرجة مجازا وحقيقة .

الحب عندي ، ظل وضباب وشوق مهاجر شجرة ذات جذور لا يحدها عمر او زمن.هو اكثر من لهب ، ويقظة ، وظمأ ، وانشطار في غربة او في سجن . هو توحد وسع البحر الذي لا تناله السفن . هو غرف مقفلة ليل نهار . يقودنا اليه الطير ولا نملك الا ان نحمل له خبز الرجاء .

لكن ، هوذا العشق ينطفيء قبالتي !

حين يكون الشاعر في حالة عشق يتقطر ارقا ويتبعثر خارج النوم . يملك الشاعر المفاتيح وما من سؤال او جواب مقفل . يعصف به العذاب ويتآخى مع الفضاء . حين يطارده الخوف يهوي من عل ويستشعر الموت . في دائرة واحدة يتجمع العاشق والمعشوق والعشق وينكسر الافق .

الحب واحة ، عليك ان تقطع صحاري وغابات لبلوغه . كما المشعل هو ، يضيء على الابراج . به نرقى الى قمة الصفاء ، ونعبر الطريق . الزواج هو الوجه الحقيقي للحب ، والهيكل الذي تأوي اليه ذرات الشمس . لا هدوء ، ولا محراب صلاة في اعماق الذات من غير زواج . الحب غاية الزواج وهدفه الاسمى . يحتله كما الوحدة التي تشمل الاطراف المترامية . الزواج بالنسبة الى الحب يشبه انبثاق الفجر في جسد متعب . على الزواج في الحب ان يتجدد كل يوم من جديد . على الزوجين ان يرددا باستمرار : آمين . آمين !

العطاء يجب ان يظل الفراشة المتحركة في الحب ، والا جاء الخريف ومات الابداع . والعطاء ركوع وتراتيل داخل كل علاقة بين اثنين ، وتجاوز للضيق والمرض والفقر والانكسار والبعد كي لا ينهار العالم ويموت بموت الحب .

تجدد دائم

● الروائي غالب هلسا ، اجاب على الاسئلة بالحساسية ذاتها التي يتعاطى بها مع المرأة ، في حياته وفي كتبه ، قال : الحب مرتبط في معظم الاحيان بالبحث عن الجديد . من الصعب على الرجل ان يعشق امرأة تتكرر هي نفسها يوميا . الحب هو علاقة حميمية بالحياة ، اي بالتجدد الدائم . عشت وما زلت ثنائية المرأة الجسد والانسان . اما اليوم فقد اصبحت المرأة عندي صديقا يشارك في عطاء الحياة وزميلا في العمل . وباتت النظرة الجنسية اليها موضوعا خاصا لانسانة معينة .

تمثل المرأة الجانب الاكثر خصوبة في الحياة ، بسبب التصاقها بالتفاصيل اليومية وابتعادها اجمالا عن التجريد الفكري . هذا التجريد الذي اصبح سمة لانحلال الرجل السيد وتراجعه عن التفاعل الحقيقي مع الحياة .

حين أكون عاشقا يبطل شعوري بالخوف من الموت . الحب ضد الموت . في لحظات الحب يشعر الانسان بان الحياة تمتد الى ما لا نهاية . الحب يمنحني الثقة بالعالم . يجدد علاقتي بالاخرين . انه نقطة ارتكاز في هذا الفراغ ، استطيع الركون اليها في حالات كفاحي مع الحياة . انطلق منه باحساس من يملك مكانا يعود اليه في أمان وطمأنينة . الحب يبتكر النظر الى هذا العالم القديم المكرر الى الابد . وهو باختصار حسب تعبير برغسون الدافع الحيوي ازاء الطابع الميكانيكي للحياة .

اما عن جدلية الحب والابداع الادبي ، فقد اجاب هلسا قائلا : الحب تجربة حياتية كيانية لكن ليس وحده مصدر الابداع . ان الامتلاء الذي يستشعره الكائن في لحظات العشق ، تضبط توازنه مع العالم . عندها تكون المرأة الواحدة الوحيدة المعشوقة هي جوهر انفعالات المبدع ، وتتحول رؤيته الى سائر النساء الى رؤية موضوعية حيادية . لا ريب ان المرأة تقدر ان تمنح الفنان رؤى وافكارا سرعان ما تستقر على الورق . والعلاقة هنا بين الفنان والمعشوقة علاقة تصهر تجارب الحياة وتذوبها فنا .

انا مع الحب ولست مع الزواج . ماذا يبقى من الزواج بعد سنة او سنتين ؟ يبقى روتين الحياة بكل القيود التي تعطل مناخ الابداع لدى الفنان . قد تكون رؤيتي هذه الى الزواج مجرد انطباع عابر من رجل لم يعش تجربة الزواج . لفرط خوفه من المسؤولية الباهظة الناشئة عن الزوجة والاولاد . اننا نقف بين مجتمعين . واحد تتوفر فيه الخدمات العائلية عبر القبيلة ، واخر تتوفر فيه الخدمات عبر التقدم والتكنولوجيا . ان الوقوف بين هاتين اللحظتين التاريخيتين يجعل من الزواج استلابا حقيقيا لطاقة الانسان» .

الزواج للرؤساء

والشاعر طلال حيدر ، صاحب المجموعة الجميلة « بياع الزمان » ، بدأ مازحا : « لكنني لست عاشقا ... لا لا تصدقوا ، الحب يملأ حياتي كلها . اقصد ، لولا الحب الذي مضى ، والحب الموجود حاليا ، والذي سيأتي يوما ، لكانت الحياة محطات مهجورة لا تنتظر قطارا ، ولا تومىء الى مكان في هذا العالم . الحياة من غير الحب جلوس تحت شجر الجوز الصامت والمظلم .

الحب ، عندي ، فعل حياة وفعل وجود . نتيجة حب مشترك جئنا نحن الى الحياة ، ونتيجة حب واحد نمضي منها . عملية الخلق والابداع محاولة لاعادة تكوين العالم من جديد حسب رؤية الفنان . ولكن هذه الرؤية لا تصير جسدا الا من خلال الحب . كما ان الله احب نفسه فخلق الكون ، كذلك المبدع يخلق بدءا من الحب .

الحب فعل ديمومة ، لأن الاخذ والعطاء يتلاحمان فيه في وحدة متكاملة تصير مع الوقت ادمانا خفيفا . عندما يبدأ الحب في تحقيق فاعليته ، ينعكس على موشور السلطة الروحية المعطاة للمبدع من لدن المبدع الاكبر .

لكن الحب ينتهي عند عتبة الزواج . الزواج مدينة صغيرة لها علاقة بكل تفاصيل العالم : من مجارير المياه الى صناعة الصواريخ . والتفاصيل تفرض وجود السلطة والمسؤولية . لذلك يجب ان يتزوج فقط الرؤساء والحكام ومحبو السلطة ، عندما اتحدث عن الزواج ، فاني اقصد الزواج الدائم . لحظات الاتحاد والانفصال لا اسميها زواجا على الرغم من ضرورتها . في بلادنا يسمونها « علاقات » ، أما انا فاسميها علاقات التوهج . ذلك ان الفنان في اثناء صعوده الثوري المتسارع ، يمر بتوهجات أناس التقى بهم في الاتجاه نفسه والسرعة ذاتها . لكنهم ينطفئون فجأة مثل النيازك ، ويقفوا كما النجوم المذنبة ، ويكمل المبدع رحلته في الزمن وصولا الى الاتحاد الكامل بالكل .

المبدع الحقيقي ، هو ، الذي لا ينطفيء في اثناء صعوده في الزمن . الحب هو الذي يحفظ ألقه . ليس الحب عاطفة صغيرة انفعالية فيزيائية . الحب اكبر من ذلك . الحب عقل وإله الحب انسان وحضارة . الحب تاريخ الوجود المحب .

● الفنانة ليلى نصير ارادت ان تقول الحب شعرا ، هي التي ادهشتنا طويلا بشعرية لوحاتها :

الحب
عطش الى الحرية
وأكواخ صيادين
ومقاتل يسعى الى معانقة الارض .
الحب
تواصل مع العناصر
هو رياح
وسفن واشرعة ورحيل
الحب سراج
وضوء في زمن الموت الغزير .

لا يقوم حب من دون تفاعل مع الآخر ، وبدءا منه يزدهر الوجدان ، وتنمو الحساسية ، فيذوب العاشق في ذات الله والطبيعة والبشر . وبقدر ما يحب الانسان ، يزداد عطاء وخلقا .

الرجل هو البحر ، كما هو الملوحة والمطر والزعفران والربيع ولهب الظهيرة . الرجل صياد الهواء ، الرجل هو وطن ايضا ، خسارة الوطن تعني خسارة الحرية . بعيدا عن الحرية ينهزم الابداع ويموت مخنوقا في غربة العبيد . اللهم هبنا حبا لتتسع حريتنا .

تهامة أكلير قازان انترناشيونال

في السابع من أيار ١٩٨٢ تم توقيع اتفاق بين تهامة (المؤسسةالسعودية بمكاتبها في جده ، الرياض ومكة) والبرق قازان التي تملك شبكة اعلانية في الشرق الاوسط ولها مكاتب في باريس ، لندن ، الكويت ، الشارقة ، القاهرة ، والتي بدأت رحلتها في عالم الاعلان منذ عشرين عاما .

سيطلق على الشركة الجديدة اسم : تهامة البرق قازان انترناشيونال .

ستكون أهداف هذه الشبكة هي :

أ - تأمين مستوى راق من خدمات التسويق والاعلان الذي اصبح يفرضه التقدم الهائل الذي طرأ على الاسواق .

ب - توفير شبكة مدعومة بأجهزة متطورة في كل بلد من البلدان العربية ومدعومة مزودة بكافة الخدمات الاعلانية في أهم الاسواق العربية .

ج - تطوير برنامج في اوروبا على قواعد دولية ووضعه في خدمة المعلنين العرب .

●●●

اجتماع مؤهلات جديدة عربية وأوروبية متمتعة بالكفاءة ستعطي تهامة البرق قازان قدرة وخبرة ليس لهما منازع في حقل الاعلان والتسويق والعلاقات العامة .

الصورة : السيد عمر هاشم مدير عام شركة تهامة انترناشيونال ، السيد نبيل قازان رئيس شركة البرق قازان السيد رضا الجمال نائب رئيس شركة تهامة للشؤون المالية .

(بيان)

نظم « المركز الثقافي العراقي » في باريس ، عدة مسرحيات مستقاة من أدب بلاد الرافدين القديم ، أعدها وأخرجها الفنان عابد عازرية .
هذا الحوار مع المخرج ، محاولة للكشف عن الهوية الفنية لهذه النصوص ، وكيف تم نقلها الى الخشبة .

عابد عازرية ممسرح الفكر الأول

غلغامش اكثر حياة من هاملت !

أدب بلاد الرافدين القديم ، ما يزال قادرا على التأثير فينا ، نحن ابناء العقدين الأخيرين من هذا العصر . إن النصوص التي دوّنت ، منذ ثلاثين قرنا او اكثر ، على ألواح الآجر تشعل فينا الحنين ، كلما فكّ عالم طلسما من طلاسمها ، وتضعنا وجها لوجه مع اجدادنا الاقدمين الذين فرضوا حضورهم الساحق على الحياة ، فأساطيرهم الخارقة الجمال بصورها الغرائبية رؤىً وجودية ملأى بالحكم والتأمل والفلسفة .

والكلام على نص واحد ، من جملة نصوص صاغها وأخرجها عابد عازرية ، يكشف عن السحر المتجلبب سائر النصوص . في مسرحية « نزول عشتار الى العالم السفلي » ، ثمة الأنثى المؤلهة / العاشقة ، التي تقوم بمغامرات فيها من الأمجاد ما فيها من الصغائر ، لكنها دوما الأنثى ذات الحضور الطاغي في المجتمع السامي القديم . ان عشتار تزيل من اذهاننا فكرة دونية المرأة التي ينسبونها الى اجدادنا .

وثمة ايضا في هذه المسرحية رؤيا الموت ، هذا الانكسار الابدي ، والرحيل الى الاسفل حتى الأبد ، وسط كآبة جموع الموتى المحتشدين في القطب السلبي للكون . وحين تخلص عشتار من هذا المصير ، يضيء الوهم القديم في اعماق الانسان بديمومة الحياة . انه الوهم المضيء . في اعمال المعاصرين ايضا .

ان هذه النصوص التي كانت لوقت قصير ، وقف على علماء الآثار والمنقبين في مدافن القدماء ، أقبل عليه عازرية بروح رسولية وثقافة وفن غزيرين . واحياها على الخشبة فعلا مسرحيا تضج فيه الحياة والعصر وحساسية الشرق . انها حقا وسيط بين الغاز العلماء وأرواح هؤلاء الذين مضوا في القديم القديم ولما يمضي فكرهم قط .

سألنا عابد عازرية : ـ أنت تقوم بتجربة مسرحية مغايرة لمفهوم المسرح الراهن . من خلال تقديم واخراج نصوص من تراث بلاد ما بين النهرين القديم . كيف تحدد هوية هذه التجربة ؟

● اني معتاد على القيام بتجارب مغايرة للفن السائد . قبل تجربتي في « مسرحة » النصوص القديمة في أدب بلاد الرافدين ، لحنت عددا من قصائد الشعر العربي الحديث ، التي لم تكتب اصلا لتغنّى . حررتها من « سجن » الكتاب لاطلقها في فضاء الغناء . اذن ، لا اعتمد في تجاربي ، على نصوص معدة سلفا لهذا او لذاك من الانواع الفنية .

أما بالنسبة الى هذه النصوص المختارة من أدب بلاد الرافدين القديم ، فيجوز السؤال : هل كانت تمثل في سومر وبابل ؟ لا اعرف . ولكن الشعوب الاولى في تلك المنطقة ، كان لديها طقوس معينة . وليس المسرح ، كما أرى اليه شخصيا ، الا مجموعة طقوس تؤلف في ما بينها مناخا مسرحيا ، من خلال افعال وحركات وديكورات وملابس واضواء وموسيقى ....

إني اعتقد ان هذه النصوص كانت تقدم في سومر وبابل في الاعياد والمناسبات الشعبية في ذلك الزمان ، كأناشيد وقصائد تتلى وتغنى . وما اختياري لها الا لوضعها في اطار فني مختلف ، كما فعلت بالقصائد الشعرية التي لحنتها سابقا . ذلك أنني لا اعرف المناسبة والغرض اللذين اوجبا كتابة هذه النصوص . كما انني اجهل الشكل الفني الذي استخدمه الاقدمون لدى تقديمهم لها . لكنني اعرف جيدا ، انهم كانوا يستخدمون في الأناشيد والقصائد التي تتلى لآله الشمس او القمر ، الأشكال الطقوسية للاشياء .

ـ ماذا تعني بالاشكال الطقوسية ؟

● كانت الطقوسية في الحضارات القديمة ذات معنى صوفي ، يربط بين الالهة والبشر والاشياء ، في علاقة كونية خفية تتجاوز الرؤية المباشرة . مثلا ، ان العلاقة بين تموز وعشتار ترمز الى علاقة الأرض بالسماء ، وما فعل الحب المتحقق بينهما الا رمز لاخصاب الحياة وتوالد المادة ، علامة البشر والاشياء في هذه الارض .

ثمة دواما في طقوسية الاقدمين معانٍ تتخطى الشكل الاول للاشياء ، لتكتسب ابعادا كونية . فعندما يكتب شاعر قصيدة حب في حبيبته ، يكون في الوقت نفسه ، يقصد الحبيبة وما هو أبعد من الحبيبة . وهذا البعد الكوني ينسحب على سائر النصوص التي وصلتنا من حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة .

ـ لنقل ان المجاز التوليدي في هذه النصوص ، هو الذي دفعك الى « مسرحتها » على الخشبة ؟

● صحيح . ان هذه النصوص بما تحمل من مجاز ، تمنحني قدرا كبيرا من الايحاء المسرحي ولولا مقدرتها المذهلة على الايحاء لما استطعت نقلها الى الخشبة .

الفكر الاول

ـ ما هي النصوص ، المأخوذة من أدب بلاد الرافدين القديم ، التي حققت واخرجت على المسرح حتى اليوم ؟

● ما حققت وأخرجت حتى اليوم ، كان اربعة نصوص : الاول ، « نزول عشتار الى العالم السفلي » ، الثاني : « نصائح الحكمة » و « السيد وعبده » (عمل واحد) ، الثالث ، « اسطورة الطائر أنزو » ، والرابع ، « العادل المعذب » . هذه النصوص الاربعة هي جزء من النصوص التسعة التي اخترتها من ادب بلاد ما بين النهرين القديم ، خلاصة الفكر البشري الاول .

ـ هل ما يزال الفكر البشري الاول قادرا على التأثير على انسان القرن العشرين ؟

● قد لا تحمل هذه النصوص جديدا الى انسان العصر الراهن ، ليس لأنها عديمة الأهمية ، بل لا ن الانسان منذ اربعين قرنا ، باستثناء الشكل الخارجي للاشياء ، لم يتطور في شيء من هنا ، يمكن اعتبار هذه النصوص البالغة القدم معاصرة لنا ، لا يعوزها الا الشكل الفني حتى تصير مستساغة من انسان اليوم ، ولقد عملت على اخراجها بالشكل الفني المعاصر ، وتجسيدها على الخشبة فعلا مسرحيا .

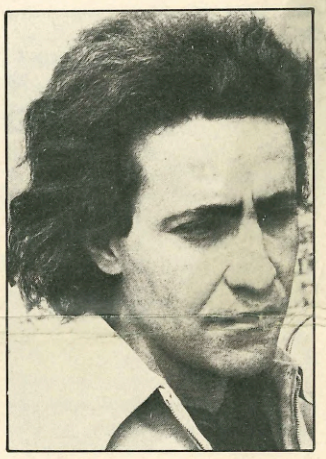

عابد عازرية : انفذ وصية من لا أحد

ـ كيف حققت ذلك ؟

● تجسيد النصوص على الخشبة تحقق عبر مراحل عدة . في البداية ، اخترت نصوصا تسعة تحكي ثلاث قصص . الاولى : قصة الآلهة وتكوين العالم ، وتصور البشر للآلهة . الثانية : قصة الشرط الانساني المحكوم بالولادة والألم والموت ، والتساؤل حول معنى الألم والولادة ما دامت الحياة قصيرة جدا . الثالثة : قصة الابطال السومريين والبابليين الذين غامروا في رحلات بعيدة طلبا لجواب او حل لمشكلتي الحياة والموت .

تلي ذلك مرحلة تنسيق نص ادبي يصلح للمسرح . ذلك ان هذه النصوص مكتوبة على الواح فخارية بعضها مكسور او مشوه بفعل الزمن . أضف الى ذلك ، وجود نسختين للنص الواحد : نسخة اشورية واخرى بابلية . في النسخة الاشورية ثمة شخص واحد وحيد أما في البابلية فثمة شخصان يتحاوران . وعليّ أن اوفق بين النسختين للخروج بنص نهائي . ثم تلي ذلك مرحلة صياغة النص بالفرنسية مع المحافظة على براءة اللغة القديمة ومخزونها الايحائي ، من دون الوقوع في تعقيدات اللغات المعاصرة .

المرحلة الاخيرة هي تجسيد النص فعلا على الخشبة .. اختار الممثلين الذين سوف يلعبون النص . ونشرع في القراءة جميعا من دون ان احدد الدور الذي سيقوم به هذا الممثل او ذاك . بعد أيام ، تبدأ الأدوار تتجلى في صيغها النهائية لدي ، من خلال دراستي لحركات واصواتٍ وردّات الفعل عند الممثلين . في الاسبوع الثاني ، اجعل الممثلين يشخصون النص من دون تحديد الادوار ايضا ، فأشعر ان كل واحد منهم يحاول ان يفرغ شخصيته في النص . فاذا كنت اعمل مع سبعة ممثلين لتنفيذ مسرحية واحدة ، يصير عندي في هذه الحال سبع مسرحيات . هنا ، ابدأ في تنظيم هذه الفوضى الجميلة بتوزيع الأدوار المناسبة على الممثلين المناسبين .

ـ كم يستغرق اعداد المسرحية من وقت ؟

● اذا كان النص جاهزا فان الاعداد لا يستغرق سوى اربعة او خمسة اسابيع في غالب الاحيان . تحضير النص وكتابته واعداده مسرحيا ، هو الذي يستغرق وقتا طويلا : سنة او سنتين . ما عدا ذلك ، فاني املك رؤيتي المسرحية الواضحة ، التي استطيع تنفيذها بوقت قصير من خلال ادارتي المرنة للعناصر البشرية والفنية على الخشبة .

ـ أنت تعمل مع ممثلين محترفين يملكون تقنيات متطورة من مدارس مسرحية عدة . الى اي حد تستطيع ان تجعلهم ينفذون رؤيتك الفنية . فلا يحولون بأساليبهم القوية النص عن مساره المرسوم ؟

● ان الفترة الزمنية القصيرة التي يستغرقها التمرين على النص ، تحول دون هيمنة الممثل على الموقف باسلوبه المكتسب الذي قد يجعل العمل ينحرف عن مساره المرسوم كما تقول . إني أعي جيدا لحظات تنفيذ الفعل المسرحي وفق رؤية فنية أجسدها ، من خلال العناصر البشرية والفنية على الخشبة .

ـ يلحظ مشاهد مسرحك غياب الوحدات الكلاسيكية فيه . أي الزمان والمكان والفعل وفق المفاهيم المتعارف عليها . فيصير بذلك كناية عن مساحة تأملية لا يحضر فيها سوى النص الشعري الذي يتلى اكثر مما يُجسد بحركات تمثيلية . أعني ان الكلام يطغى على الحركة المسرحية ويحولها الى هامش . الا تعتقد ان هذا الشكل المسرحي يلغي العناصر الاساسية التي يقوم عليها المسرح الحديث ؟

مسرح صوتي

● انت تبني ملاحظتك هذه ، على مشاهدتك مسرحيتي الاخيرة « العادل المعذب » . لقد نفذ هذا العمل ممثل واحد . وكان عليه حسب النص ان لا يتحرك . ان رجلا مثله حلّت به مصائب جمة ، وألمت به امراض كثيرة ، ورفضت الآلهة تضرعه ، وخانه جميع الاصحاب والاصدقاء ، كيف تريده ان يتحرك على الخشبة كالبهلوان وهو يعاني سكرات الموت ؟

ـ ليس المقصود الحركة البهلوانية الخارجية . أنت توافقني على أهمية الحركة الداخلية في الموقف المسرحي ، التي يجسدها ممثل يلعب دور مريض لا يبارح السرير مثلا ؟

● حسنا . الحركة الداخلية في الموقف المسرحي هي موضوع كلامي . وهي ايضا ما اردت ابرازه على الخشبة . لذا فاني اشتغل على صوت الممثل وأوليه الاهتمام الكبير ، لأنني اذا قدرت ان أحرر الصوت كما يجب ، فلسوف اطلق حركية الجسد الى الحد الاقصى . ولقد حاولت في احيان ، ان استعيض عن الحركة العضوية بالصوت ، لأننا بواسطة الصوت نستطيع ان نعيش مناخ الحركة ايحاءً . اني احاول هذا الاسلوب في المسرح ، ولا اعرف مدى نجاحي او فشلي فيه . أترك الحكم للنقد .